■ الباب التاسع عشر

١٩٦٥

ينبغي أن أكون صريحاً فالزنوج – الأفرو أمريكيون – لم يظهروا ميلاً للاندفاع نحو الأمم المتحدة والمطالبة بالعدل لأنفسهم هنا في أمريكا وكنت أعلم سلفاً أنهم لن يفعلوا ذلك. لقد غسل الرجل الأبيض مخ السود تماماً لينظروا إلى أنفسهم كمسألة «حقوق مدنية» داخلية وسينقضي عمري قبل أن يفكر الزنوج في عالمية نضال الرجل الأمريكي الأسود. كنت أدرك أيضاً أن الزنوج لن يندفعوا خلفي وراء الإسلام الأصيل الذي منحني البصيرة والقدرة على رؤية إمكانية أن يحيا الرجل الأبيض والأسود كأخوة، لأن المسيحية مسحت بقيمها الاضطهادية المزدوجة عقول زنوج أمريكا خاصة كبار السن منهم.

لذا تجدني في «دعوة للجمهور» التي كنت أعقدها ظهر أو مساء كل أحد في قاعة أودوبون بهارلم لا أركز على الدعوة الإسلامية في أحاديثي أمام الحضور الذين كان أغلبهم من غير المسلمين وبدلاً من ذلك كنت أحاول احتضان كل من يحضر من غير اعتبار لدينه.

«لا نقتصر على المسلمين أو المسيحيين ، كاثوليك، أم بروتستانت، معمداني أم منهجي، ديمقراطي أو جمهوري، ماسوني أو الكي ! أنني أنادي كل السود في أمريكا والشعوب السوداء في كل أرجاء العالم ! لأننا حرمنا كمجموعة سود ليس من حقوقنا المدنية فحسب، بل من حقوقنا الإنسانية وحقنا في الكرامة كبشر ...».

❖❖❖

obeikan.com

في الشارع وبعد خطبي كنت أرى في وجوه وأصوات الناس الذين يقابلونني، حتى من يشد منهم على يدي بقوة أو وأنا أمهر لهم باسمي على كتبهم – كنت أرى موقف «سننتظر ونرى.» كنت أشعر وأتفهم عدم تأكدهم من موقفي، فمنذ الحرب الأهلية طرق الرجل الأسود عدة طرق وعاد منها بخفي حنين وقادته كثيراً ما خانوه وكذلك لم تقده المسيحية إلى الخلاص. الرجل الأسود جرح من قبل ولذا فهو حذر ومتردد وأنا أتفهم ذلك الآن أكثر من ذي قبل. في الأراضي المقدسة بعيداً عن أمريكا ومشاكلها العنصرية وجدت الفرصة لأفكر بصفاء لأول مرة في أنماط الرجل الأبيض الأساسية وكيف تؤثر دوافعهم ومواقفهم على الرجل الأسود وصلتها به. وقفت في مكة المكرمة لأول مرة في أعوام عمري التسعة والثلاثين أمام خالق كل شيء وشعرت بأني بشر تام.

في صفاء الأراضي المقدسة وفي نفس الليلة التي ذكرت أنني أستلقيت فيها على الأرض وحولي أخوتي الحجاج يشخرون – رجعت بي الذاكرة إلى ذكريات شخصية كنت أظنها انمحت من ذاكرتي إلى الأبد ... رجعت بي إلى سنوات طفولتي وأنا يافع صغير ذو ثماني أو تسع سنوات. خارج منزلنا الريفي وبعيداً عن لانسينج في ولاية ميشجان كان هنالك تل أخضر صغير كنا نسميه «تل هكتور» وربما كان موجوداً حتى اليوم. وأنا في الأراضي المقدسة في تلك الليلة تذكرت كيف كنت وأنا طفل صغير استلقي على قمة ذلك التل وعيناي تنظران إلى السماء والسحب المتحركة وتسيطر عليَّ أحلام اليقظة من كل نوع. ثم وفي تناقض ذكريات، انتقلت بي الذاكرة إلى السجن بعد سنوات من ذلك وكيف أنني كنت أستلقي على سريري المبيَّت في الزنزانة، كان ذلك يحدث على وجه الخصوص خلال الحبس الإنفرادي الذي كنا نسميه الحجز – وأتخيل نفسي وأنا أخاطب جماهير غفيرة. ليست لدي أدنى فكرة لماذا كانت هذه الرؤى تمر بمخيلتي ولكن ذلك هو ما حدث. لم أكن أجرؤ على إخبار أي شخص بذلك لأنهم سيظنون بي الجنون وحتى أنا نفسي لم يكن لدي أدنى فكرة عما يخبئه لي المستقبل....

في مكة أيضاً أعدت في ذهني شريط الاثني عشر عاماً التي قضيت مع الايجا محمد وكأنها فيلم سينمائي. ظني أنه سيكون من المستحيل على أي شخص تخيل درجة إيماني بالايجا محمد في ذلك الزمن. كنت أؤمن به ليس كزعيم بالمعنى العادي للكلمة بل كنت أرى فيه زعيماً مقدساً وأعتقد أنه منزه عن الخطأ والضعف البشري وهو لذلك لن يخطئ أبداً. هنالك في الأراضي المقدسة وعلى رأس الجبل اكتشفت خطورة مثل ذلك التفكير وتوقير أي بشر بتلك الدرجة أو الافتراض بأن قيادة إنسان ما مقدسة أو منزهة.

تفتح عقلي وتفكيري في مكة وحاولت أن أنقل تلك الرؤيا الجديدة في خطاباتي إلى أصدقائي عن كفاح الرجل الأمريكي الأسود وأن أجعلهم يحسون عمق بحثي عن الحق والعدالة. كتبت لهم: «لقد سئمت من تبني إدعاءات الآخرين وأنا الآن أسعى إلى الحق بدون إعتبار لمن قائله. أنني أنشد العدالة كانت مع زيد أم ضد عبيد فأنا بشر أولاً وأخيراً ولذلك فأنا مع أي شخص وأي شيء ينفع الإنسانية كل واحد».

رفضت الصحف الأمريكية البيضاء في مجملها أن تنقل لقرائها حقيقة أنني كنت أحاول السير بالزنوج في اتجاهات جديدة. ومع صيف ١٩٦٤ «الطويل اللاهب» يحمل يومياً وقائع انفجارات جديدة كنت دوماً محط اتهام بإثارة الزنوج. كنت في كل مرة يسألونني في المذياع أو التلفاز عن «إثارة الزنوج» أو «استنفارهم للعنف» أنفعل وأغلي من الغضب.

«الديناميت الاجتماعي الذي زرعته العطالة والإسكان الرديء والتعليم المتردي في الجيتوات، ليس بحاجة إلى من يشعله. هذه الحالة الإجرامية القابلة للانفجار موجودة منذ زمن وليست بحاجة إلى فتيل يفرقعها، فهي تفرقع نفسها وتأكل من النار التي بداخلها ... »

وصفوني بأني «أكثر زنوج أمريكا غضباً» فلم أرفض ذلك الاتهام وأفصحت بما أحس به «إنني أؤمن بالغضب والإنجيل يقول هنالك وقت للغضب » سموني بالداعية الذي يبذر بذور العنف فكنت أجيب بلا مداراة: «تلك كذبة فأنا لست مع العنف الاعتباطي بل مع الحق... لو هاجم الزنوج البيض ولم تستطع أو ترغب قوى القانون حمايتهم فللبيض الحق في الدفاع عن أنفسهم وحمايتها من الزنوج – باستعمال السلاح إذا دعا الأمر. وبنفس المنطق أرى أن على الزنوج استعمال السلاح إذا دعا الأمر لحماية أنفسهم في حالة إذا ما هاجمهم البيض وفشل القانون في حمايتهم».

«مالكوم إكس يدعو إلى تسليح الزنوج».

ما الخطأ في ذلك. الخطأ هو في كوني أسود يتحدث عن الدفاع الجسدي ضد الرجل الأبيض. للرجل الأبيض الحق في أن يشنق ويحرق ويضرب ويفجر الزنوج – لا ضير في ذلك: «عليكم بالصبر»... «هذه العادات متأصلة وتتطلب وقتاً»... «الأمور في تحسن».

حسناً، إنني أعتقد أنها جريمة في حق أي إنسان يتعرض للأذى ثم يستمر في قبول ذلك بدون أن يفعل شيئاً لحماية نفسه. إذا كانت تلك تفسيراتهم للفلسفة «المسيحية»، إذا كان ذلك ما تنادي به فلسفة غاندي، حسناً، فهي في رأيي فلسفة إجرامية.

حاولت في كل خطبة أقولها أن أوضح موقفي الجديد نحو البيض - «إنني لا أهاجم البيض المخلصين الطيبين ذوي النية الحسنة فلقد تعلمت أن بعض البيض كذلك. تعلمت أن ليس كل البيض عنصريين. لكنني أهاجم وأحارب العنصريين البيض وأؤمن بأن للزنوج الحق في محاربة هؤلاء العنصريين، بأي وسيلة تمليها الضرورة».

إلا أن الصحفيين البيض تمادوا محاولين ربطي بكلمة «العنف» وفي كل مقابلة صحفية كنت أجد نفسي أتعامل مع هذا الاتهام.

« إنني مع العنف إذا كان اللاعنف يعني أن نستمر في تأجيل حل مشكلة الرجل الأمريكي الأسود المستعصية من أجل تفادي العنف فقط . لست مع اللاعنف إن كان يعني أيضاً تأخير الحل وفي نظري أن الحل المؤجل ليس حلاً على الإطلاق . وبكلمات أخرى إذا كان لابد من العنف حتى يتحصل السود على حقوقهم الإنسانية في هذا البلد ، فإنا مع العنف تماما مثلما سيكون الآيرلنديون والبولنديون واليهود إذا ما تم التمييز ضدهم بطريقة فاضحة . أنا مثلهم في تلك الحالة لأنهم سيكونون مع العنف مهما كانت النتائج وبدون اعتبار لمن يتأذى منه ».

المجتمع الأبيض يكره أن يسمع أي شخص خاصة إذا كان أسود ، يتحدث عن الجرائم التي ارتكبها الرجل الأبيض ضد الرجل الأسود . لقد كنت دائما أفهم لماذا ينعتوني « بالثوري » تكراراً وكأنني ارتكبت جريمة ما ! حسنًا ، ربما كان على الأمريكي الأسود أن يقوم بثورة حقيقية . كلمة ثورة باللغة الألمانية هي أموالزنغ وهي تعني انقلاباً كاملاً وتبديلاً تاماً للأمور . خلع الملك فاروق في مصر وقدوم الرئيس عبد الناصر مثال للثورة الحقيقية . إنها تعني تحطيم النظام القديم وإحلال نظام جديد مكانه . الثورة الجزائرية التي قادها بن بيللا مثال آخر – لقد طردوا الفرنسيين الذين كانوا هنالك فوق المائة سنة . لذا كيف يبدو أي شخص وهو يتكلم عن الزنجي الأمريكي يشعل « ثورة » ما ؟ نعم ، أنه يدين النظام الحالي ولكنه لا يحاول أن يقلب الأمور ويحطم النظام الحالي . إن ما يسمى «بتمرد» الزنوج ليس إلا استجداء للقبول في الوضع الحالي . أما التمرد الحقيقي للزنوج فسيعني على سبيل المثال ، المطالبة بولاية منفصلة للزنوج داخل هذه الولايات المتحدة الشيء الذي دعا إليه عدد من الأفراد والجماعات قبل ظهور الإيجا محمد بزمن .

عندما أتى الرجل الأبيض إلى هذا البلد ، حينها لم يبد أي ميل نحو « اللاعنف » وفي حقيقة الأمر نفس الرجل الذي يعد اسمه رمزاً للاعنف هنا اليوم قال :

« أمتنا ولدت من الإبادة الجماعية حينما احتضنت الفكرة القائلة بأن الأمريكي

الأصلي ، الهندي الأحمر ، جنس وضيع وحتى قبل وجود أعداد كبيرة من الزنوج بين سواحلها ، شوهت وصمة الحقد العنصري مجتمع المستعمرات . ابتداء من القرن السادس عشر سالت الدماء في معارك أفضلية الأجناس ونحن ربما نكون الأمة الوحيدة التي اتخذت من إبادة السكان الأصليين سياسة لها . ليس ذلك فحسب بل أننا مجدنا تلك المأساة وجعلناها تبدو وكأنها حملة ذات هدف سامي . في حقيقة الأمر أننا حتى اليوم نمنع أنفسنا من رفض ذلك الماضي أو الشعور بالخجل من تلك الأفعال المخزية . أدبنا وأفلامنا ، مسارحنا وأساطيرنا الشعبية كلها تمجده . أطفالنا في المدارس يتعلمون احترام العنف الذي أحال أمة حمراء البشرة ذات حضارة سابقة إلى مجموعات قليلة مشتتة تساق كالشياه إلى معسكرات بائسة ».

« التعايش السلمي » ، تلك حيلة أخرى يلجأ إليها الرجل الأبيض دائماً. حسنا ! ولكن كيف كانت أفعال الرجل الأبيض ؟ خلال كل تقدمه في التاريخ البشري كان دائماً يرفع علم المسيحية ... وفي اليد الأخرى يحمل السيف والبندقية ذات الزند المصون .

يمكنك أن ترجع إلى البدايات الأولى للمسيحية ، إلى الكاثوليكية أصل المسيحية كما نعرفها اليوم مع تنظيمها الذي بدأه في أفريقيا من تسميهم الكنائس المسيحية « آباء الصحراء ». استشرى داء العنصرية في المسيحية عندما دخلت أوروبا البيضاء ثم عادت الكنيسة المسيحية إلى أفريقيا تحت راية الصليب . تغزو وتبطش ، تستغل وتنهب ، تغتصب وتضرب وتلقن عظمة الجنس الأبيض . تلك هي الطريقة التي سيطر بها الرجل الأبيض على العالم ، باستخدام القوة العارية بينما كانت روحه فقيرة . التاريخ البشري من حقبة لأخرى يرينا أن معيار القيادة والسيادة الحقيقي هو معيار روحي ومعنوي فالبشر تجذبهم القوة الروحية ، أما القوة المادية فهي تُفرض قسراً . الحب يولد من الروح أما القوة المادية فتؤدي إلى الخوف والقلق .

إنني أتفق تماماً مع العنصريين الذين يقولون أن القوانين الحكومية يستحيل أن ترغم البشر على التآخي وفي الوقت الحاضر الحل الحقيقي الوحيد لمشاكل العالم هو حكومات تهتدي بالديانة الحقة – بالروح . أما هنا في أمريكا المزقة عنصريا فأنا مقتنع تماماً أن الحاجة إلى الإسلام ماسة ، خاصة من جانب الأمريكي الأسود وعلى الرجل الأسود أن يفكر ملياً في أنه كان أكثر مسيحيي أمريكا إخلاصاً وإلى أين قاده ذلك ؟ بالأحرى إلى أين قادت المسيحية على أيدي الرجل الأبيض وطبقاً لتفسيره، وما الذي جلبته على هذا العالم ؟

قادت ثلثي هذا العالم غير الأبيض إلى الثورة . ثلثا سكان هذا العالم حاليًا يقولون للأقلية البيضاء ، ثلث هذا العالم : « اخرجوا من أرضنا !» والرجل الأبيض

يغادر ومع خروجه تشاهد الشعوب غير البيضاء وهي تعود بسرعة إلى دياناتها الأصلية ، التي وصمها الرجل الأبيض الغازي بأنها « وثنية .» هناك ديانة واحدة هي الإسلام ، استطاعت أن تصمد في وجه الرجل الأبيض لمدة ألف عام ، الإسلام وحده هو الذي استطاع أن يوقف المسيحية عند حدها .

الأفريقيون يعودون اليوم إلى الإسلام وإلى دياناتهم الأصلية والآسيويون إلى الهندوسية والبوذية والإسلام وكما اتجهت الحملات الصليبية في الماضي نحو الشرق يتجه الإسلام اليوم نحو الغرب . ومع آسيا الشرق مقفولة في وجه المسيحية وأفريقيا تتحول بسرعة نحو الإسلام ومع أوروبا بسرعة تغدو لا- مسيحية ، أصبحت حضارة أمريكا المسيحية التي ترفع من قدر الجنس الأبيض في العالم ، هي قلعة المسيحية والقوة الأخيرة .

إذا كان الأمر كذلك ، إذا كان ما يسمى بالمسيحية التي تمارس في أمريكا اليوم هو خير ما بقى للمسيحية لتقدمه للعالم ، فلا أعتقد أن أي شخص عاقل في حاجة إلى دليل أكبر من ذلك يوضح أن نهاية المسيحية قد دنت . هل تعلمون أن بعض علماء اللاهوت البروتستاني يستخدمون في كتباتهم عبارة « ما بعد العصر المسيحي» عندما يتحدثون عن العصر الحاضر . وما هو أهم سبب لفشل الكنيسة المسيحية هذا ؟ أنه الحكمة القديمة : «أنك تحصد ما تبذر! » الكنيسة المسيحية زرعت العنصرية والآن تحصد العنصرية .

لكم أن تتخيلوا الضمير المسيحي في صباح أيام الآحاد وجماعات المصلين يحرسها شماس الكنيسة عند الباب وهو يقف في وجه السود الذين يودون الدخول للعبادة قائلاً : « لن تدخلوا بيت الله هذا !» هل هنالك سخرية محزنة أكثر من أن سانت أوغسطين في فلوريدا ، المدينة التي أطلق عليها اسم القديس الأفريقي الأسود – الذي أنقذ الكاثوليكية من الزندقة – كانت مسرحاً لأعمال شغب عنصرية دامية قبل مدة ؟

أؤمن تماماً بأن الله يعطي الآن لما يسمى بمجتمع العالم المسيحي الأبيض آخر فرصة ليرعوي ويكفر عن جرائم استغلال واسترقاق شعوب العالم غير البيضاء ، تماماً مثلما أعطى فرعون فرصة ليتوب . لكن فرعون تمادى في رفضه منح العدالة لمن يضطهدهم فدمره الله في النهاية كما نعلم .

هل تتأسف أمريكا البيضاء على جرائمها ضد السود ؟ هل تملك المقدرة على التوبة والكفارة ؟ هل لدى أغلبية المجتمع الأبيض المقدرة على التوبة والكفارة ، وهل يملكها نصف أو ثلث ذلك المجتمع ؟

كثير من ضحاياه السود بل أغلبهم يودون لو يستطيعون أن يغفروا وينسوا هذه

الجرائم ، لكن لا يبدو أن أغلب الأمريكيين البيض على استعداد ليكفروا عن خطاياهم وأن ينصفوا الرجل الأسود . وفي الحق كيف للمجتمع الأبيض أن يكفر عن استرقاق واغتصاب ، بل خصي وتعذيب ملايين البشر لعدة قرون . ماذا سيطلب إله العدل مقابل سرقة عرق وحياة الشعب الأسود ، هويته وحضارته ، تاريخه بل كرامته الإنسانية ؟.

شرب القهوة في مكان مختلط أم دخول المسرح والمراحيض العامة مع البيض وكل سلسلة أساليب النفاق « الاندماجي » كل هذه ليست تكفيراً يعتد به .

بقيت في أمريكا فترة ثم عدت للخارج وفي هذه المرة قضيت ثمانية عشر أسبوعاً في الشرق الأوسط وأفريقيا . كانت لي مقابلات خاصة مع زعماء عالميين هم : الرئيس جمال عبد الناصر في مصر ، الرئيس جوليوس نايريرى ، رئيس تنزانيا ، الرئيس ناموى أزيكوى رئيس نيجيريا ، المرشد دكتور كوامي نكروما رئيس جمهورية غانا ، الرئيس سيكو تورى – غينيا ، الرئيس جومو كينياتا – كينيا ، ودكتور ملتون ابوني – رئيس وزراء يوغندا . كذلك قابلت عددا من الزعماء الدينيين : أفارقة ، عرباً وآسيويين ، مسلمين وغير مسلمين . وفي كل هذه البلدان تكلمت مع أفرو– أمريكيين وبيض من مهن وخلفيات مختلفة .

أحد سفراء أمريكا البيض في أفريقيا كان أكثر سفير أمريكي محترم في أفريقيا ويسرني أن أروي ذلك القول عن واحد من أهم زعماء أفريقيا . تحدثت مع ذلك السفير ساعات طويلة في أحد الأمسيات وبناءً على ما سمعت عنه صدقته حينما قال أنه طوال الوقت في أفريقيا لا يفكر على الطريقة العنصرية وإنما يتعامل مع الناس على أنهم بشر وينسى لون بشرتهم . قال أنه أكثر إحساساً بفارق اللغة منه بفارق اللون وأنه لا يعي الفوارق اللونية إلا عندما يعود إلى أمريكا .

قلت له : « ما تقوله لي إذن هو أن العنصرية ليست من الرجل الأمريكي الأبيض ولكنها من النظام والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يغذي آليا النزعة العنصرية في الرجل الأبيض » فوافق على ذلك .

اتفقنا كلانا أن المجتمع الأمريكي يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل على البشر الأمريكيين أن يتقابلوا من دون أن يحسوا بالفوارق اللونية وأنه إذا أزيلت العنصرية فيمكن لأمريكا أن تقدم للعالم مجتمعاً يحيا فيه الفقراء والأغنياء ويتعاملون كبشر.

نقاشي مع السفير أعطاني رؤيا جديدة راقت لي وهي أن الرجل الأبيض ليس شريراً بطبعه لكن مجتمع أمريكا العنصري يجعله يسلك سلوكاً شريراً. المجتمع

obeikan.com

يولد ويغذي نزعة نفسية تظهر أحط ما في الإنسان .

كان لي حديث مختلف تماماً مع رجل أبيض آخر قابلته في أفريقيا وهو صورة حية للنوع الذي كنت أتحدث عنه مع السفير. خلال رحلتي وفي أي مكان ذهبت كنت أعلم أنني تحت مراقبة دائمة. مراقبي كان شخصية واضحة وبغيضة ولست أدري اسم الوكالة التي يعمل لها لأنه لم يقدم لي نفسه وإلا لكنت ذكرت اسمها. على أية حال ضقت ذرعاً به في النهاية عندما اكتشفت أنه معي في كل مكان ولا أكاد أجلس لأتناول وجبة ما إلا وهو يراقبني من مكان حولي وكأنني جون دلنجر (زعيم عصابات) أو شيء من ذاك القبيل .

قمت من حيث كنت أتناول إفطاري ذات صباح ومشيت نحو مكانه وقلت له أنني أدرك أنه يراقبني وأنه إذا كان يريد أن يعرف شيئاً فعليه أن يسألني. حاول أن يعطيني انطباعاً من نوع « لن أنزل إلى مستواك » فقلت له في وجهه أنه مغفل وأنه لا يعرفني ولا يعرف ما أنادي به وأن ذلك يجعله واحداً من الذين يتركون الآخرين يفكرون لهم ومهما كانت وظيفة الإنسان فإن عليه أن يفكر لنفسه. أغاظه ذلك وانفجر. قال لي عني أنني لا– أمريكي ومخرب متآمر وربما أكون شيوعيًّا. أجبته بأن قوله يبرهن على جهله بي وأن كل ما تستطيع أن تتهمني به الـ سي.آي.أيه. (المخابرات المركزية) أو الـ أف. بي.آي (المباحث الفدرالية) أو أي شخص آخر هو أن عقلي متفتح. قلت له أنني أسعى وراء الحقيقة وأنني أحاول أن أزن بموضوعية كل شيء على حسب ميزاته ومضاره. أخبرته أنني ضد التفكير المتحجر وإطلاق الصفات جزافاً على الناس وأنني أحترم أي شخص يؤمن بما يمليه عليه عقله وذكاؤه وأنني أتوقع من الآخرين أن يحترموا حقي في التفكير بحرية.

بعد ذلك بدأ هذا المخبر يتحدث عن عقيدتي في «المسلمين السود» فسألته، ألم يشأ رؤساؤك أن يخبروك عن موقفي ومعتقداتي التي تغيرت. أخبرته أن الإسلام الذي أؤمن به الآن هو الإسلام الذي يدرس في مكة وأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، محمد الذي عاش في مكة قبل أربعمائة وألف عام، آخر الرسل والأنبياء.

منذ البداية خمنت شيئاً ما وغامرت فكان أن هززت ثقة ذلك المخبر في نفسه. عدم موضوعيته المتكرر في كل ما يقول ويسأل جعلني أستنتج شيئاً فقلت له: «أتعرف ! أعتقد أنك يهودي باسم مسيحي » رده الطوعي أكد لي ظني إذ سألني كيف عرفت ذلك. أجبته بإن لي تجربة مع طريقة مهاجمة اليهود لي تجعلني أعرفهم بسهولة وقلت له أن ما أحمله ضد اليهود هو أن كثيراً منهم منافقون في ادعائهم بأنهم أصدقاء السود في أمريكا وأن ما يغيظني كثيراً هو اتهامهم لي بمعاداة السامية عندما أتحدث بصراحة وأقول ما أعرف أنه الحقيقة المطلقة عن اليهود .

أخبرته بأنني أوفي اليهود حقهم كونهم من بين كل البيض في أمريكا أكثرهم نشاطاً وأشدهم دفاعاً وتمويلاً وقيادة وليبرالية في حركة الحقوق المدنية من أجل الزنوج ، ولكنني في نفس الوقت أدرك أنهم إنما يقومون بذلك لأسباب إستراتيجية : كلما تركزت كراهية المسيحيين البيض على الزنوج كلما عنى ذلك أن تلك الكراهية لن تطال اليهود .

أضفت بأن أكبر دليل على نفاق كثير من اليهود في حديثهم عن الحقوق المدنية هو أننا في الشمال نجدهم أسرع من يؤيد الانفصال . أنظر إلى كل الأماكن التي يحاول الزنوج دخولها فستجد أن اليهود إن لم يكونوا يملكونها أو يتحكمون فيها فإن لهم نصيباً كبيراً في ملكيتها – كما أننا نجدهم في مراكز حساسة ولهم فيها نفوذ كبير ومع ذلك هل حاولوا استغلال ذلك لمصلحة الزنوج ؟ لا ثم لا !

واصلت قائلاً ، وعندي أن أكثر الدلائل وضوحاً عن نظرة اليهود للزنوج هو ما يحدث عندما ينتقل زنجي ليسكن في حي غالبيته من اليهود. من سيقود هجرة البيض الجماعية من الحي ؟ إنهم اليهود ! في مثل هذه الأوضاع عامة يصر بعض البيض على البقاء وإذا نظرت فستجد أنهم من الكاثوليك الايرلنديين ومن الإيطاليين ونادراً ما تجد يهوداً من بينهم. والسخرية في الأمر هو أن اليهود أنفسهم يجدون صعوبة في قبول المسيحيين لهم.

أدرك وأنا أقول ذلك أن ستأتيني الاتهامات بمعاداة السامية من كل اتجاه . أواه ، نعم ! ولكن الحقيقة هي الحقيقة.

سيطرت السياسة على المسرح الأمريكي وأنا في الخارج هذه المرة في القاهرة ومرة أخرى في أكرا وصلتني وسائل الإعلام بمحادثات هاتفية عبر الأطلنطي. كانوا يودون معرفة من أفضل، جونسون أم جولدوتر. أجبتهم بأن شعوري هو أنهم سواء فيما يختص بالرجل الأسود في أمريكا وقلت أنهم بالنسبة للسود مجرد اختيار بين الثعلب جونسون وبين الذئب جولدوتر.

«المحافظون» في السياسة الأمريكية تعني من يؤيدون دعوة «دعونا نبقي النيجرز في مكانهم» والليبرالية تعني «دعونا نبقي الزنوج في مكانهم ولكن لنقل لهم أننا سنعاملهم أحسن، دعونا نخدعهم ببعض الوعود.»

ومع هذه الخيارات كل ما يفعله الرجل الأسود هو أن يختار آكله. هل سيأكله الثعلب «الليبرالي» أم الذئب «المحافظ» لأن كليهما سيقضي على الرجل الأسود.

لست مع جولدوتر أو مع جونسون ولكنني عندما أكون في وكر الذئب وأعرف موقفي منه سأراقبه بحذر أكثر مما سأراقب الثعلب الماكر. هرير الذئب نفسه

سيجعلني متيقظاً وسأحارب من أجل النجاة ولكني مع الثعلب قد انخدع وأطمئن له. سأعطيكم مثالاً للثعلب. بعد الإغتيال الذي جعل من جونسون رئيساً، من كان أول شخص اتصل به جونسون ؟ صديقه الحميم، «ديكي» – ريتشارد رَسِل من ولاية جورجيا. أعلن جونسون للعالم أن الحقوق المدنية أصبحت موضوعاً أخلاقيًّا بينما صديقه الحميم رَسِل العنصري الجنوبي هو الذي قاد الحملة ضد الحقوق المدنية. كيف يبدو لكم شريف المدينة (العمدة) وهو يصرح بأنه ضد النهب بينما جيسي جيمس (زعيم عصابة) أعز أصدقائه.

جولدوتر يلقى احترامي كرجل لصراحته في إعلان قناعاته الشيء الذي يندر أن يفعله أي سياسي اليوم. لم يكن يهمس للعنصريين في جانب ويبتسم لدعاة الاندماج في الجانب الآخر. جولدوتر لم يكن ليغامر بإشهار موقفه غير الشعبي من غير اقتناع وقد قالها للسود بصراحة أنه ليس في جانبهم. هنا علينا أن نفكر في التالي: أن السود ما حققوا شيئاً إلا عندما رأوا أن عليهم أن ينهضوا ضد نظام صريح في عداوته لهم ولكنهم تحت تخدير المهدئات التي يقدمها لهم ليبراليو الشمال تحولوا إلى متسولين. في الجنوب نهض الزنوج وهم يواجهون الذئب الأبيض المزمجر في وجوههم وحاربوا من أجل الحرية قبل حدوثها في الشمال بزمن.

كنت دائماً أرى أن جولدوتر ليس أفضل من جونسون بالنسبة للسود أو العكس، ولم أكن موجوداً بأمريكا في وقت الانتخابات ولكني لو كنت حضرت لم أكن لأصوت لأي منهما ليصبح رئيساً أو أنصح أي أسود ليصوت لواحد منهما. في النهاية دخل جونسون البيت الأبيض وكانت أصوات السود عاملاً مهماً في فوزه الحاسم كما أراد. أما إذا ما فاز جولدوتر لكان السود عرفوا أنهم إنما يتعاملون مع ذئب له هرير بدلاً من تعاملهم مع ثعلب سيكون قد إزدرد نصفهم قبل أن يكتشفوا ما حدث.

كانت الصعوبات تترى من كل جانب وأنا أحاول بناء نوع من المنظمات القومية السوداء التي كنت أريدها للزنجي الأمريكي. ولم القومية السوداء ؟ حسناً، كيف يوجد تضامن بين السود والبيض في هذا المجتمع الأمريكي التنافسي قبل أن يوجد تضامن بين السود أنفسهم أولاً ؟ إذا كنت تذكر فقد تعرضت في طفولتي لتعاليم ماركوس جارفي عن القومية السوداء وهي في الحقيقة السبب في قتل أبي كما أخبروني وحتى عندما كنت تابعاً لالايجا محمد كنت أعي بشدة أن الفلسفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للقوميين السود لها المقدرة أن تغرس في نفس الرجل الأسود الكرامة العنصرية والثقة بالنفس والدوافع التي يحتاجها لينهض ويقف على قدميه حتى يتخلص من جروحه ويحارب من أجل نفسه.

إحدى العقبات التي كانت تواجهني في بناء المنظمة التي أريد – منظمة سوداء صرفة هدفها النهائي هو المساعدة في خلق مجتمع يعمه التآخي الخالص الصريح بين السود والبيض – إحدى تلك العقبات كانت صورتي العامة السابقة. صورة «المسلم الأسود» ظلت تقف في طريقي. كنت أحاول تدريجياً محو تلك الصورة وأسعى إلى تغيير صورتي في أذهان الجمهور خاصة أذهان الزنوج. لم أعد أقل غضباً مما كنت في الماضي لكن التآخي الحقيقي الذي رأيته في الأراضي المقدسة أثر عليَّ لأدرك أن الغضب قد يعمي بصيرة الإنسان.

كل فرصة وكل دقيقة أجدها، كنت أقضيها في الحديث مع الشخصيات الرئيسية التي أعرفها في هارلم وقد ألقيت كثيراً من الخطب وأنا أقول: «الإسلام الحقيقي علمني أن المجتمع الإنساني يتكون من كل الديانات وشتى المذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبه شعوب وقبائل وعناصر وخصائص مختلفة.

«منذ أن انجلى لي الحق في مكة، أصبحت أعد من أعز أصدقائي أناساً من جميع الأنواع – مسيحيين ويهود، بوذيين وهندوس وبعضهم من مذاهب اللا– أدري، وملاحدة حتى. لي أصدقاء يعرفون بأنهم رأسماليون، اشتراكيون أو شيوعيون ! وبعضهم من نوع العم توم. أصدقاء سود، سمر، حمر، صفر وبيض».

قلت مرة أمام جمهور في هارلم: إنه فقط عندما تخضع الإنسانية للإله الواحد الذي خلق كل شيء، عندها فقط يمكن أن يتحقق السلام الذي كثر عنه الحديث... ولكن لا يفعل إلا القليل من أجله. قلت لهم :إنه على المستوى العنصري الأمريكي يجب علينا أن نعالج صراع الرجل الأسود ضد عنصرية الرجل الأبيض على أنه مشكلة إنسانية وأن علينا أن ننسى سياسة النفاق والإدعاءات. ذكرت لهم أن كلا الجنسين عليه مسئولية والتزام في أن يساعد في حل مشكلة أمريكا الإنسانية. على البيض حسني النية أن يكافحوا العنصرية بين قومهم البيض بجد ومباشرة كما أن على السود أن يزيدوا من وعيهم بأن الحقوق المتساوية يجب أن يصحبها تحمل المسئوليات المتساوية.

كنت أعرف أكثر من أي زنجي آخر أعداد البيض التي تود بإخلاص أن ترى مشاكل أمريكا العنصرية قد حُلت وكثير منهم مصاب بالإحباط مثلهم مثل الزنوج. كان البيض يحيطون بي في مقابلاتي مع المستمعين ويسألونني بعد نهاية حديثي في مكان ما : « ماذا يمكن لأبيض مخلص أن يفعل ؟ » .

وأنا أقول هذا تقفز إلى ذهني الآن صورة الطالبة الجامعية التي حدثتكم عنها والتي طارت من جامعتها في نيوانجلاند إلى نيويورك وتقدمت مني في مطعم أمة

الإسلام في هارلم لأخبرها أن ليس بإمكانها أن تقدم أي شيء . أشعر بالأسف الآن لأني قلت لها ذلك وأتمنى لو أنني أعرف اسمها وأين يمكنني أن أتصل بها هاتفياً أو أكتب لها لأقول لها ما أقوله للبيض حالياً حينما يتقدمون مني بإخلاص ويسألونني بطريقة أو بأخرى نفس السؤال الذي سألتني إياه.

أول شيء أقوله لهم أنهم وفيما يختص بمنظمة القومية السوداء ، منظمة الوحدة الأفرو – أمريكية ، لن يستطيعوا الانضمام إليها. أحس في داخلي أن البيض الذين يودون الانضمام للجماعات والمنظمات السوداء إنما يتبعون طريق الهروب لإراحة ضمائرهم وهم يعتقدون أنهم بحومهم حولنا أمام الملأ ، إنما « يبرهنون» أنهم «معنا ». لكن الحقيقة العارية هي أن ذلك لم يساعد ولن يساعد في حل مشاكل أمريكا العنصرية. العنصريون ليسوا الزنوج والمكان الذي يستطيع فيه البيض المخلصون أن « يبرهنوا » على عدم عنصريتهم ليس وسط الزنوج ولكن في الخطوط الأمامية للمعركة حيث تكمن عنصرية أمريكا – وذلك بين البيض أنفسهم ، عنصرية أمريكا تعشعش بين رفقائهم البيض. ذلك هو الوسط الذي على البيض المخلصين أن يعملوا فيه إن أرادوا تحقيق أي شيء في هذا الموضوع.

وبصرف النظر عن ذلك فأنا لا أقصد الإساءة لأي أبيض مخلص حينما أقول أن وجود البيض سيبطئ من حركة الزنوج في تعرفهم على احتياجاتهم بأنفسهم خاصة التعرف إلى مقدراتهم وما يمكن أن ينجزوه وهم يعملون بأنفسهم وبين قومهم ومجتمعاتهم.

حتمًا لا أريد إيذاء شعور أحد لكنني سأزيد وأقول : إنني لا أثق حقيقة بالبيض الذين يتلهفون على التجول وسط الزنوج ، لا أثق بالبيض الذين يعشقون البقاء دائماً وسط الزنوج. لا أدري فقد يكون ذلك من مخلفات سنوات الصعلكة في هارلم مع كل أولئك البيض السكارى ، حمر الوجوه ، في النوادي غير المشروعة وهم يمسكون بتلابيب بعض الزنوج ليقولوا لهم : « أريدك فقط أن تعرف أنك لست أقل مني» ثم بعد ذلك يعودون في عربات الأجرة أو الليموزين الأسود إلى مناطقهم في وسط البلد حيث يسكنون ويعملون في مناطق يخاف الزنوج من الوجود فيها إن لم يكونوا خدماً. على أية حال أنا أعلم أنه إذا انضم البيض في أي مرة إلى منظمة سوداء ، فلك أن تنظر وترى السود بعد قليل وقد بدأوا يعتمدون على دعم البيض وقبل أن نحرز ما حدث ستجد أن أحد السود وقد تبوأ منصباً ولقباً بينما البيض في الخلف يتحكمون فيها بفضل أموالهم.

أقول للبيض المخلصين : « تعاونوا معنا ولكن ليعمل كل واحد وسط قومه. فليبحث البيض المخلصون كأفراد وليعثروا على كل البيض الآخرين الذين لهم نفس الشعور ليتحدوا معهم ويحاولوا تغيير تفكير البيض ذوي السلوك العنصري.

فليذهب البيض المخلصون ويلقنوا اللا عنف للبيض الآخرين ! » .

عند ذلك سنحترم زملاءنا البيض احتراماً تاماً فهم يستحقون كل ثناء وسنعزو لهم ما يستحقون من فضل. في غضون ذلك سنكون نحن نعمل وسط قومنا وداخل مجتمعاتنا السوداء نلقن ونوضح للسود بطرق لا يعرفها إلا السود أن على الرجل الأسود أن يساعد نفسه بنفسه. وهم يعملون منفصلين ، سيكون البيض المخلصون وكأنما هم يعملون سوياً.

في إخلاصنا المتبادل قد نُري أمريكا الطريق لخلاص روحها التي لن تجد الخلاص إلا عندما تمتد الكرامة الإنسانية الكاملة والحقوق الإنسانية لتشمل السود. هذه الأساليب ذات المعاني التي تنبع من إحساس إنساني عميق ومسئولية أخلاقية ، هي وحدها التي تستطيع أن تسبر غور الأسباب التي تقود إلى الانفجارات العنصرية في أمريكا اليوم. ما عدا ذلك فستزداد هذه الانفجارات سوءً. وحتما لن يتحقق أي تقدم ولن تحل المشكلة بإلقاء اللوم على شخصي وعلى من ينعتون « بالمتطرفين » و « الديماجوجيون» من أمثالي على عنصرية أمريكا.

أحياناً أتجرأ وأحلم بأنه سيأتي يوم ما وأن التاريخ قد يقول إن صوتي — الذي عكر صفو اعتداد الرجل الأبيض بنفسه وأقلق غطرسته واطمئنانه — إن صوتي ساعد في إنقاذ أمريكا من قبرها وربما من كارثة لا تبقى ولا تذر.

هدفنا كان دائماً واحداً مع اختلاف الأساليب بين أسلوبي وأسلوب دكتور مارتن لوثر كنج وهو يقود مسيرات اللاعنف التي تظهر وحشية وقسوة الرجل الأبيض ضد الرجل الأسود الأعزل. وفي الجو العنصري الذي يخيم على هذه البلاد اليوم ، من الصعب القول أي الأسلوبان « المتطرفان» لحل مشاكل الرجل الأسود سيلقى شخصياً حتفه أولاً: « لا عنف » دكتور كنج أو أسلوبي أنا الذي ينعت «بالعنف ».

إنني أنظر إلى كل ما أقوم به اليوم كأمر عاجل وليس من إنسان يجد الوقت الكافي ليحقق ما يريد في حياته. حياتي أنا خاصة لم تبق على وضع واحد لمدة طويلة ولقد رأيتم كيف مررت بتغيرات عنيفة كثيرة وغير متوقعة في حياتي . وعندما أقول أن أية لحظة ، أي يوم أو أي ليلة قد تجلب لي الموت فأنا لا أفعل سوى مواجهة الحقيقة. هذا الأمر صار أكثر حقيقة خاصة بعد زيارتي الأخيرة للخارج. لقد شاهدت طبيعة ما يجري وسمعت أشياء من مصادر لا يرقى إليها الشك.

التفكير في الموت لا يخيفني كما يخيف الكثيرين فأنا لم أؤمن أبداً بأنني سأعيش حتى أغدو رجلاً عجوزاً. وحتى قبل أن أصبح مسلماً ، عندما كنت أزعراً في الجيتو ثم مجرماً في السجن ، كنت دائماً أعتقد أنني سأموت موتاً عنيفاً. في

حقيقة الأمر ذلك أمر توارثناه في عائلتنا — أبي وأغلب أخوانه ماتوا مقتولين — أبي بسبب معتقداته. وإذا ما دخلنا إلى صلب الموضوع وأخذنا نوع المعتقدات التي اعتنقها أنا وأضفنا إلى ذلك نزوعي إلى التمرد على القواعد مع التكريس التام الذي أوليه لما أعتقد فيه — هذه هي العناصر التي تجعل من المستحيل عليَّ أن أموت بداء الهرم.

لقد أعطيت لهذا الكتاب كل وقتي لأني أؤمن وآمل بأنني أذا حكيت قصة حياتي كاملة وبصدق وإذا ما قرأها الناس بموضوعية فقد تبرهن - أن لها قيمة اجتماعية ما. القارئ الموضوعي سيرى أنني مع الحياة التي عشتها كشاب أسود في أمريكا كان لابد أن أنتهي إلى السجن وذلك ما يحدث لآلاف مؤلفة من الصبيان السود.

القارئ الموضوعي سيرى حتمية استجابتي الإيجابية عندما سمعت لأول مرة جملة « الرجل الأبيض هو الشيطان» واستعدت في ذهني شريط تجاربي الخاصة. ثم قضيت الاثني عشرة عاماً التالية من عمري مكرساً وقتي وجهدي بإخلاص لترويج تلك العبارة ونشرها بين السود. أنني آمل أن ستكون للقارئ الموضوعي وهو يتابع حياتي — حياة زنجي واحد من مخلوقات الجيتو — صورة أوضح وتفهم أحسن من ذي قبل للجيتوات السوداء التي تشكل حياة وتفكير كل الاثنين والعشرين مليون زنجي تقريباً الذين يعيشون في أمريكا.

وفي كل عام يزداد عدد هذا النوع من المراهقين يمجدون أبطالاً مزيفين ويتعرضون للأثر السيئ. لا أقول أن كلهم سيصبحون طفيليين مثلما كنت ومن حسن الحظ أن كثيرين منهم لا يصبحون كذلك. ومع ذلك فالنسبة البسيطة منهم تزداد لنجد أعدادا أكبر وأكبر من الشباب الإجرامي الخطر. في تقرير لـ أف. بي. آي. قبل عهد قريب نشروا أن هنالك ارتفاعاً مرعباً في الجريمة كل سنة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية — من عشرة إلى اثنى عشر بالمائة كل عام. لم يقلها التقرير صراحة ولكني أقول أن تلك الزيادة تتمركز في الجيتوات السوداء التي يسمح لها المجتمع الأمريكي بالاستمرار. وفي أحداث الشغب التي حدثت في صيف ١٩٦٤ الطويل اللاهب في أهم المدن في أنحاء أمريكا ، كان شباب الجيتو المحروم دائماً في مقدمتها.

وفي هذا العام ، ١٩٦٥ ، أنا متأكد أن حوادث أكثر — وأسوأ — ستنفجر في مدن أكثر بالرغم من قانون الحقوق المدنية والسبب هو أن جذور هذا الشغب ، تكمن في الداء العنصري المتمكن من أمريكا الذي قضى زمناً طويلاً بدون علاج.

لا أظن أنك ستجد في أي مكان في أمريكا رجلاً أسود غاص في وحل المجتمع الإنساني أعمق مني ، أو عمه في الجهل أكثر مني ، أو عانى من الغضب أكثر مني. لكن أعظم البهجة تأتي بعد الضلوع في الظلام ، وفقط بعد السجن والعبودية تستلذ لطعم الحرية.

ومن أجل حرية الاثنين والعشرين مليوناً من إخوتي السود ، أؤمن بأنني حاربت جل مقدرتي وبكل ما أعرف أن أحارب مع القصور الذي لدى شخص مثلي.

أكثر ما أفتقده وأتحسر عليه في حياتي هو أنني لم أواصل تعليمي النظامي لأمتهن المهنة التي كنت أتمنى – وهي أن أصير محامياً ، لعل وعسى ! لقد كنت دائماً أعشق المعارك والتحديات الكلامية. صدقني لو قلت لك أنني إذا كنت وجدت الوقت اليوم فلن أخجل من أن أعود إلى أية مدرسة حكومية في مدينة نيويورك وأن أبدأ من الصف التاسع حيث انتهيت وأواصل حتى أحصل على درجة جامعية لأن هنالك أشياء كثيرة أهواها ينميها التعليم. أنا مثلاً أحب اللغات وأتمنى أن لو كنت لغويًا متمكناً فليس هنالك شيء يثير إحباط الشخص أكثر من الوجود مع أناس يتكلمون لغة لا يفهمها خاصة إذا كانوا أناساً يشبهونك في عدة أشياء. في أفريقيا سمعت أناسا يتحدثون اللغات الأم مثل لغة الهوسا والسواحيلي وأنا أقف كالطفل منتظراً أن يشرح لي شخص ما يقولون ، لن أنسى أبداً كيف شعرت بالجهل حينها. وإلى جانب اللغات الأفريقية الأساسية أتمنى أن أتعلم اللغة الصينية لأنها ستكون فيما يبدو أهم لغة سياسة في المستقبل وقد بدأت في دراسة اللغة العربية التي أعتقد أنها ستكون أهم لغة روحية في المستقبل.

أن أدرس وحسب وبذلك أعني دراسات مختلفة لأن لي عقلاً متفتحاً ولي اهتمامات بأي فرع من فروع المعرفة تذكره. ذلك هو السبب إنني أحببت كأفراد بعض مقدمي برامج المذياع والتلفاز التي اشتركت فيها واحترمت عقولهم لأنهم حتى وإن اختلفوا معي على طول الخط فيما يختص بموضوع العنصرية ، فقد كانوا دائماً موضوعيين وعقولهم متفتحة لسماع الحقائق عما يجري في العالم. منهم على سبيل المثال أرف كوبسنت في شيكاجو وباري فابر ، باري جراي ومايك والاس في نيويورك. أنهم أيضاً أروني أنهم يحترمون عقلي بطرق لم يشعروا بها انفسهم. ما يجعلني أعتقد ذلك هو أنهم كانوا أحياناً يسألونني عن رأيي في مواضيع أخرى عدا العنصرية عندما كنا نجلس ونتحدث بعد نهاية البرنامج عن مواضيع شتى في الأمور الجارية لمدة ساعة أو أكثر. كثير من البيض حتى عندما يعترفون لزنجي بالذكاء يظلون يعتقدون أن كل ما يجيد الحديث عنه ذلك الزنجي هو الوضع العنصري وكثيرون لا يخطر ببالهم أبداً أن الزنوج يمكن أن يساهموا بشيء في مجالات الفكر الأخرى. لك أن تلاحظ كيف أن البيض نادراً ما يسألون زنجياً عن رأيه في مشاكل الصحة العالمية أو سباق الفضاء لإنزال رجل على سطح القمر.

كل صباح حينما أصحو من النوم هذه الأيام أعتبره يوما مستلفا وفي كل مدينة اذهب إليها وأنا ألقي الخطب واعقد الاجتماعات لمنظمتي أو أنا في أي عمل آخر ،

أحس برجال سود يقتفون اثري ويراقبون كل خطوة أخطوها مترقبين الفرصة لقتلي . لقد قلتها علنا ومرارا أنني أعرف من أعطاهم الأوامر وكل من لا يصدقني في قولي هذا لا يعرف مسلمي أمة الإسلام . لكن الله أيضا انعم على باتباع مخلصين في رأيي ، كرسوا حياتهم لي مثلما كرست حياتي في السابق لألايجا محمد . وعلى الذين يتصيدون الرجال أن يدركوا أن الغابة ملأى بمن يتصيدون الصيادين .

أدرك أيضا أنني قد أموت فجأة على يد واحد من العنصريين البيض أو على يد زنجي أستأجره الرجل الأبيض . وربما تأتي نهاية حياتي على يد زنجي مغسول الدماغ يبادر من تلقاء نفسه بالتخلص مني ظنا منه أنه بذلك يساعد الرجل الأبيض ، لأنني أتكلم عن الرجل الأبيض بالطريقة التي أتكلم بها.

على أية حال أنني أحيا كل يوم وكأنني مت وأقول لكم ما أرجو أن تفعلوه . عندما أصبح ميتا – وأنا أقول ذلك لأني اعلم مما يجري حولي أنني لن أعيش طويلا حتى اقرأ هذا الكتاب الذي بين أيديكم – أريد لكم أن تراقبوا وتروا صحة قولي وهو أن الرجل الأبيض في صحفه سيربطني مع « الحقد».

سيستغلني ميتا كما استغلني حيا وسيجعلني رمزا مناسبا « للبغضاء » وسيساعده ذلك على الهروب من مواجهة الحقيقة. في حين أن كل ما فعلته هو أنني وضعت أمامه مرآة عكست وأوضحت تاريخ الجرائم التي تعجز معها الكلمات والتي ارتكبها قومه في حق قومي.

عليكم أن تراقبوا وتروا كيف سينعتونني في أحسن الأحوال كرجل أسود غير مسئول . لقد كنت دائما أوقن من هذا الاتهام أن « الزعيم » الأسود الذي يصفه البيض دائما «بالمسئول» لا يحقق شيئا لقومه والطريقة الوحيدة التي يحقق بها الرجل الأسود أية نتائج هي حينما يصفه البيض بأنه «غير مسئول » في الحقيقة تعلمت ذلك منذ طفولتي ، منذ أن صرت بعض « زعيم » للسود في هذا المجتمع الأمريكي ، يتأكد لي ذلك في كل مرة يقاومني فيها الرجل الأبيض أو يشتد في هجومه علي – لأني في كل مرة يهاجمني فيها أوقن بأنني على صواب من وجهة نظر ومصالح الرجل الأمريكي الأسود . معارضة العنصري الأبيض لي أقنعتني آليا أنني أقدم شيئا للرجل الأسود .

نعم ، استمتعت بدور « الديماجوجي » (الدهماوي) وأنا أدرك أن المجتمعات البشرية كثيرا ما قتلت أناسا ساعدوا في تغيير تلك المجتمعات . وإذا كان لي أن أموت وقد جلبت بعض النور وكشفت شيئا ذا معنى من الحقيقة التي قد تعجل بسحق السرطان العنصري المتمكن من جسد أمريكا – يكون كل الحمد والثناء لله . فقط على الأخطاء .